رسالة الكويت

رسالة دورية تصدر عن مركز البحوث والدراسات الكويتية

السنة الثانية عشرة – العدد [٤٧] رمضان ١٤٣٥هـ/ يوليو ٢٠١٤م

مركز البحوث والدراسات الكويتية

في هذا العدد

- افتتاحية العدد
- دائرة المعارف واهتمامات التعليم في الكويت عام ١٩٥٢/١٩٥٣م
- الرعاية الصحية في مدونات أحمد البشر الرومي ومحاضر مجلس المعارف (١٩٣٩ – ١٩٥٠م)
- من الموروث الشعبي «أم الغيث»
- الكويت في مذكرات الشيخ إبراهيم القطان
- حادثة غرق البوم فتح الخير (الكمانة) ملك حسن ومال الله أبناء أحمد مال الله
- من مكتبة المركز
- إصدارات المركز الجديدة

الافتتاحية

عزيزي القارئ:

التعليم الجيد الذي يستهدف بناء الشخصية المتكاملة هو الطاقة التي تدفع الأمة إلى التقدم والازدهار، والتعليم والتربية صنوان لا يفترقان؛ أولهما يغذي العقول ويصلح الأفهام، وثانيهما يقوّم السلوك والأبدان، وقديما قالوا «العقل السليم في الجسم السليم».

كان هذا الفهم الصحيح لقيمة التربية والتعليم هو المحرك الرئيس لأعمال مجلس المعارف الذي أنشئ عام ١٩٣٦م، ورغم قلة الميزانية في ذلك الوقت فإن قرارات المجلس المذكور تقوم دليلا على اهتمام كبير بالتعليم وفهم واع لمتطلباته، حظي بمساندة أهلية ملحوظة، فقد حرص المجلس على استقدام أفضل المعلمين والمعلمات والأخذ بأفضل المنهجيات، وإرسال البعثات الطلابية إلى الخارج، والانطلاق النشط لتشييد المدارس.

وما إن جاء عصر النفط وصدِّرت منه أول شحنة في عام ١٩٤٦م وعززت عائداته خزينة الدولة، حتى كان التعليم أول الفائزين بخيره، فاستقدمت الشركات العالمية لبناء المدارس على أحدث طراز، وأنشئت المدرسة الثانوية في الشويخ التي كانت في وقتها بمثابة مدينة جامعية كبيرة، وصاحب كل ذلك نشاطات ثقافية ورياضية وفنية مميزة أعطت للعملية التعليمية حيوية انعكس أثرها الإيجابي على الطلاب وتحصيلهم العلمي.

وفي هذا العدد نقدم مجموعة من الوثائق التي تعطي صورة لذلك النشاط في عام دراسي واحد هو عام ١٩٥٢/١٩٥٣م، الذي نخرج من متابعته بسؤال واحد هو: هل مازال التعليم لدينا مهموما بالإعداد المتكامل لشخصية الإنسان المعاصر؟

والله ولي التوفيق

أ.د. عبدالله يوسف الغنيم

رئيس مركز البحوث والدراسات الكويتية

مركز البحوث والدراسات الكويتية

ص .ب : ١٠٢٤ دسمان – رمز بريدي : ١٥٤٦١ الكويت – ت : ٢٢٢١٠٨٩٨ (٠٠٩٦٥) – فاكس : ٢٢٢١٠٨٨٠ (٠٠٩٦٥)

E-mail: crsk@crsk.edu.kw - homepage: http://www.crsk.edu.kw

من الموروث الشعبي
«أم الغيث»

إعداد: أ. عائشة عبدالمحسن الروضان

الموروث الشعبي بصوره المختلفة مادة تخلقها الشعوب تعبر من خلالها قاصدة أو غير قاصدة عن صورة صادقة لحياتها، حيث يرسم الموروث الشعبي صورة للعلاقة الحميمة بين الإنسان وواقعه الجغرافي والبيئي التي تشكل ملامح زمانه. إن ما يسميه الإنسان ماضيا جميلا، أو حاضرا واقعا، أو مستقبلا مرجوا، هو في حقيقة الأمر ناتج حتمي للعلاقة بين الإنسان ومعطيات بيئته؛ فمن خلال محاولة الإنسان تشكيل البيئة المحيطة به لتوافق متطلبات عيشه تتشكل ذاته وترسم عاداته وتقاليده ويتكون مجتمعه.

وهكذا نستطيع أن نقول باطمئنان إنك لن تعرف شعبا إن لم تعرف عاداته وتقاليده التي يعد الموروث الشعبي مفتاحه الرئيس، والشعب الكويتي مثله مثل بقية الشعوب يملك موروثا شعبيا من القصص والأمثال والأغاني والأشعار والعادات الاحتفالية في المناسبات يمتد بامتداد تاريخه على هذه الأرض، موروثا ملتصقا ببيئته، ومشابها لموروث جيرانه وأمته، ومستندا إلى ماضيه العريق، ولعل عادة استمطار المطر خير مثال لما ذهبنا إليه من قول، وهي عادة تسمى في الكويت "أم الغيث"؛ فعندما يتأخر نزول المطر تتجمع البنات ويحملن معهن دمية كبيرة تسمى "كردية" على شكل بنت عليها لباس وعباءة، طولها نحو متر ونصف المتر، وتحمل الدمية أكبر البنات، وتكون في المقدمة. وفي صباح يوم الجمعة تخرج البنات ومعهن الكردية التي أطلقوا عليها اسم "أم الغيث"؛ إذ بواسطتها يطلبن الغيث -أي المطر- من الله تعالى، ويطفن بها على البيوت؛ فكل بيت يعطيهن -جزاء دعائهن- على قدره؛ أرزا أو دهنا، وبعضها يعطيهن نقودا، وإذا جمعن كمية من المواد الغذائية يقمن بطبخ وجبة الغداء لهن في الشارع (السكة)، وإذا خرجن من البيوت يقلن بصوت عال (أم الغيث غيثينا. بلي ابشيت[1] راعينا. خلي إعشيبتنا[2] تنبت. يرعاها إطليينا[3]).

كما يقلن أيضا (يارب شيلة شيلة. تعطي الرعد الليلة. وفلان يسقي خيله، على درب الشامية)[4].

وهذه العادة تنبع من صميم التأثير البيئي في

(١) إبشيت تصغير بشت بمعنى العباءة.
(٢) تصغير عشبتنا
(٣) تصغير طلينا بمعنى الخروف الصغير
(٤) الشملان، سيف مرزوق، الألعاب الشعبية الكويتية، الجزء الأول، ط٢، المقهوي، ص ١٠٠ - ١٠١، ١٩٧٨م.

وجدان الإنسان، إذ في بيئة صحراوية جافة نادرة الأمطار يكون الاحتفاء بالمطر وطلب نزوله والاستبشار به أمرا له ما يبرره ويدعو إليه، ولم تأت هذه العادة من فراغ؛ فالمطر في وجدان المسلم خير تُفْرد له صلاة خاصة تسمى "صلاة الاستسقاء"، يصليها الناس ويتوسلون بها إلى خالقهم أن يمنّ عليهم بالمطر حامل الماء أصل الحياة ومنبعها، وهو في اللغة -صانعة التفكير وحاملته- الغيث أو الغوث بمعنى النجدة، وعادة الاستمطار تمتد في التاريخ العربي إلى العصر الجاهلي؛ حيث كانت العرب إذا أجدبت وانحبس المطر وأرادوا أن يستمطروا عمدوا إلى شجرتين تسميان السلع والعشر، فحزموهما، وعقدوهما في أذناب البقر، وأضرموا فيها النيران، وأصعدوها في موضع من جبل وعر، وساروا خلفها يدعون الله ويستسقون،

من رسوم الفنان الراحل أيوب حسين عن أم الغيث
(كتاب ألعابنا الشعبية، ص ٢٠٥، ٤٣٠)، إصدار مركز البحوث والدراسات الكويتية، ٢٠٠٥م.

وكانوا يوجهونها جهة الغرب دون كل الجهات. وقال بعض الرواة إنهم كانوا لا يصعدون البقر الجبال بل يحدرونها منها، وقيل إنهم يشعلون النار في أذناب البقر تفاؤلا للبرق.

وقد أشير إلى ذلك في الشعر، قال أمية بن أبي الصلت:

سَلَع ما، ومثله عُشَرْ ما عائل ما، وعالت البيقورا

وقال الوَرَك الطائي:

لا در در رجـــال خـــاب سعيهم
يستمطرون لـدى الأزمـــات بالعشر
أجـــاعـــل أنـــت بـيـقـورا مسلعة
ذريـــعـــة لـــك بـــين الله والمـــطـــر[1]

وظلت العرب تفعل ذلك حتى أبطله الإسلام وجاء بصلاة الاستسقاء بديلا له.

ولم يقتصر الأمر في ممارسة مثل هذه العادة للاستمطار على البيئات الصحراوية قليلة الأمطار فقط، بل رأينا مثلها في الدول الزراعية التي تحتاج إلى الأمطار في زراعتها؛ ففي العراق مثلا نجد مثل هذه العادة عند الأكراد حيث إن أرضهم أرض ديمية تعتمد الزراعة فيها بالدرجة الأولى على المطر، وتنتشر هذه العادات في مناطق مختلفة ضمن المجتمعات الكردية، لكن لكل منطقة تسميتها الخاصة، فمثلا بعض المناطق تسمى "بووكه به بارانه" أي عروس المطر، أو (خيره به بارانه) أي الخير لاستنزال المطر، وفي مناطق أخرى تسمى (كوسه به بارانه)، وجميع هذه المصطلحات تؤدي المعنى نفسه وتمارس من أجل هدف معين هو الاستسقاء.

إن ممارسة هذا الطقس تتم بأن تجتمع مجموعة من شبان إحدى قرى الأكراد، ويتنكر أحدهم بملابس نسائية، باعتباره أنه يمثل عروسا، وآخر هو (كوسه) يقوم بصبغ وجهه وتخطيط لحية وشارب على أوجههم، وذلك باستعمال سخام القدور (هيس)، فإن صبْغ الوجه باللون الأسود يعني أن جميع أهل المنطقة تغيرت وجوههم وقلوبهم إلى اللون الأسود، وهم يطلبون من الله استنزال المطر عليهم ليغسل وجوههم وإزالة السواد الذي حل في قلوبهم.

وتقوم مجموعة أخرى من الشبان، ولاسيما الأقوياء منهم، بصبغ وجوههم باللون نفسه حاملين معهم عصيا ذوات رؤوس كبيرة (كوته ك) يكلفون بحماية العروس، وعندما يتهيأ الأفراد لممارسة الطقس وتوزيع النشاطات فيما بينهم يقومون بزيارة البيوت في قريتهم نفسها، حيث يتقدمون إليها طالبين من ساكنيها التضرع إلى الله لإزالة الحزن عنهم، أما نساء وأطفال القرية فيقومون برش الماء عليهم دلالة على سقوط المطر وغسل السواد الذي ملأ وجوههم وقلوبهم. وهكذا يزورون جميع بيوت قريتهم والأطفال يركضون وراءهم ويرددون الأغنية التالية، وهي عبارة عن دعاء يطلبون فيه من الـ(كوسه) استنزال المطر عليهم:

(١) علي، جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الناشر دار العلم للملايين، ومكتبة النهضة بغداد، ج١٦، ص ٨١٥، ٨١٦.

كوسه به بارانمان ئه وي

ره حمه تي جارانمان ئه وي

وتفسير ذلك -كوسه- نريد منك مطرا وأن تعيد إلينا الرحمة السابقة.

بعد زيارة جميع بيوت القرية يتوجهون للقرى المجاورة، وكلما اقتربوا من واحدة يخرج إليهم الشبان والأطفال ويستقبلونهم بالأغنية السابقة ويرشون عليهم الماء للسبب نفسه، وهو إزالة السواد الذي سبب هذا الحزن، ومن وقت لآخر تقوم مجموعة من شبان القرية التي حل بها الكوسة وجماعته بالهجوم على العروس لاختطافها وأخذها عنوة، اعتقادا منهم أن سبب استنزال المطر هو -العروس- والهجوم عليها يعني جلب المطر والخير لهم ولقريتهم، ومن هنا تبدأ المعركة الرمزية بين الجماعة المكلفة بحماية العروس وشباب تلك القرية، حيث يحاول كل طرف منهم أن يحصل على العروس ليجلب المطر لقريته، ومن جانب آخر فإنهم يتشاجرون فيما بينهم لكي يرثي الله لحالهم وينزل عليهم رحمته ويزيل حزنهم ويزيح سواد قلوبهم، ويخمد الشجار بسرعة لتنسحب الجماعة التي قامت بمهاجمة العروس، ولا يجوز طرد الكوسة وجماعته من القرية في حالة نشوب المعركة بينهم، إيمانا منهم أن سبب استنزال المطر هو دعاء هؤلاء، وهكذا يزورون جميع بيوت قريتهم أو القرى الموجودة في المنطقة، وقد تستمر هذه الفعالية في بعض الأحيان ليلة كاملة، إذ تبدأ قبل غروب الشمس وتنتهي في ساعات متأخرة من الليل، لأنهم في حالة انتقالهم من قرية إلى أخرى لا يستعملون وسيلة نقل بل يسيرون على الأقدام.

وعندما يحل الصباح يقوم الـ"كوسه" وجماعته بزيارة القرى لجمع المساعدات من البيوت، وكميتها تتوقف على الإمكانات المالية للعوائل، وهي عادة تتكون من (الحيوانات والدهن والأرز والبرغل) وعندما تنتهي هذه العملية يقوم الكوسة وجماعته بجمع المساعدات مع الحيوانات التي جلبتها النساء في ساحة واسعة قريبة من إحدى قراهم، وتقوم النساء بطبخ ما جمعوه، ويسمى ذلك الطعام (ناني الكوسه) أي غداء الكوسة، وعادة تدعى جميع البيوت إلى ذلك المكان لتناول غداء الكوسة، وهنا يدعو الجميع الرب لاستنزال المطر عليهم لسقي أراضيهم[1].

وكذا نجد مثل هذه العادة في اليمن حيث يقومون بالاستسقاء عند انحباس المطر؛ فيخرجون في موكب بعد صلاة الجمعة أو بعد الدفن في المقبرة، ويتقدم الموكب أحد كبار المنطقة المعروف بالتقوى والصلاح، ويجعلون الأطفال في المقدمة، فيسيرون رافعي الأيدي يجأرون بالدعاء لله، ويقومون بسوق مواشيهم وحيواناتهم معهم، وينحرون بعضها في أماكن لها طابع القدسية عندهم كأضرحة الأولياء أو عند الأشجار المقدسة لديهم، ويتركونها غذاء للحيوانات والطير، ويتضرعون قائلين:

يـــارحمـــن يـارحـيـم يـــارب الـعـالـمين

(١) حمودي، باسم عبدالحميد، عادات وتقاليد الحياة الشعبية العراقية، سلسلة كتاب التراث الشعبي، ط١، ص ١١٤ : ١١٦، دار الشؤون الثقافية، ١٩٦٨م.

يـا الله اسـقـنـا الغيث جل جلالك يامولانا
واحنا عبادك لا تنسانا يا رحمن أنت الرحيم

ومن أهازيج الاستسقاء في اليمن:

"اسقي العجماء- عاطشة للماء- جاوعة للمرعى

نزلت تشرب- وان مابش ماء- نزلت تبكي فوق قبر النبي"

وأيضا:

"مولانا.. يا مولانا.. يا سامع دعانا.. برحماك يا محمد.. ما خيب رجانا

مولانا نسأل رضاك، وبابك واقفين.. من سيرحمنا سواك.. يا أرحم الراحمين"

وفي لبنان تكاد عادة الاستسقاء تتطابق معها في الكويت؛ حيث يجتمع من ثلاثة إلى أربعة شباب ويسمون أحدهم أبو حشيش، وينكرون له وجهه أو يغطونه بقطعة رقيقة من القماش الأسود، ويعلقون بجسمه شماريخ النخل وبعض الغراء وبعض ما يعلق في رقاب البقر والبغال، ويغيرون ثيابه، ويحملونه مقرعة أو سوطا، ويسيرون خلفه، وأحدهم يحمل قصبة أو عودا طويلا في رأسه شرائط من قماش، والثاني يحمل كيسا فارغا أو قفة لوضع القمح والحمص فيها، ويدورون على البيوت ينشدون خارجها:

يا أم الغيث غيثينا وشـتـي عـا أراضينا
تـا تـنـزل سواقينا ويشرب زرعناالعطشان

أو

يا أم الغيض غيضينا وشـتـي في أراضينا
شتي عازرعناالعطشان تـا ينمي ويعطينا

ويدخل أبو حشيش وحده البيت ويرقص ويضرب بالسوط أو المقرعة الأرض ويقول:

أبو الحشيش المتمني واقف عالباب بيغني
بـدو كمشه دِرسي تـا يـعـشي الحـيـوان

وتقوم صاحبة البيت بإعطائه قليلا من القمح والحمص، ويقوم أحد أفراد العائلة بالصعود إلى السطح ويلقي على الشباب قليلا من الماء، فيتصايحون: "الدني عم تشتي" أي السماء تمطر. ويستمرون في الـدوران على البيوت والغناء فيها وجمع القمح والحمص، وبعد ذلك يذهب أهل الضيعة "القرية" جميعا إلى الكنيسة للصلاة مصطحبين الأطفال معهم، ثم يجتمعون في أحد البيوت ليطبخوا ما جمعوه من حبوب ليأكلوا منها ويعطوا الفقراء.

وهكذا نرى، مع الاختلاف الظاهري للبيئات ما بين صحراوية وجبلية وزراعية، اشتراك هذه البيئات في عامل بيئي واحد هو الاعتماد على المطر في الحصول على الماء الذي قال الله تعالى عنه في كتابه العزيز {وجعلنا من الماء كل شيء حي}، وأن العادات والتقاليد تشابهت حتى كادت تتطابق، مما يسمح لنا بالقول إن الموروث الشعبي العربي عامل يؤكد وحدة هذه الأمة، وهو عامل من عوامل صلابتها وقوتها.